

الفصل الثامن

التعليم في البادية :

obeykandi.com

كان العرب في الجاهلية يعجبون بلغتهم العربية ويقدرونها حق قدرها ويتأثرون كثيرا بالادب العربي . فالقصيدة الحماسية أو الخطبة النارية تقودهم للحرب وأبيات العفو والصفح تميل بهم الى الاخاء والسلام . وبعد أن ظهر الاسلام زاد اعجابهم بالعربية الفصحى فقد كان القرآن الكريم في أرقى درجات البلاغة العربية وكان الرسول صلى الله عليه وسلم عربيا مبينا .

وقد استمرت لغة العرب فصيحة خالية من الخطأ حتى صدر الاسلام ولكن اختلاط العرب بغيرهم قد أدى الى وجود اللحن بينهم . وكان اللحن يعد عيبا كبيرا لا يصح أن يرتكب فقد روى ان رجلا لحن في حاضرة النبي محمد فقال الرسول لاصحابه :

« ارشدوا أخاكم فقد ضل »

وبانتشار الاسلام اضطر المسلمون من العرب الى الاختلاط بالفرس والاجانب المختلفين في اللغة في المدينة ودمشق وبغداد والكوفة والبصرة وتزوج العرب أجنييات ففسد اللسان العربي في المدن والبيوت ولم يستطع الاجانب معرفة قواعد اللغة العربية كما ينبغي فظهرت لغة المولدين وبدأ الخطأ في الكتابة والتخاطب .

ولم يقتصر اللحن على الأعاجم بل تجاوزهم الى العرب أنفسهم . وكان العرب ينفرون ممن يلحن في اللغة العربية . وقد قيل ان كاتباً لأبي موسى الأشعري كتب الى سيدنا عمر بن الخطاب « من أبو موسى (١) الأشعري » فكتب عمر الى أبي موسى أن يضرب كاتبه سوطاً .

ودخل اعرابي السوق فسمع الناس يلحنون فقال : سبحان الله : يلحنون ويربحون ونحن لا نلحن ولا نربح . وممن وقعوا في اللحن الوليد بن عبد الملك والحجاج بن يوسف وشبيب بن شيبه وغيرهم . وكان اللحن أكثر خطراً عندما وقع في القرآن فغير المعنى تغيراً يؤدي بصاحبه الى الكفر لو قصد كاللحن الذي وقع في الآية الكريمة : « هو الله الخالق البارئ المصور » فقد قرأها قارئ المصور بفتح الواو . وكالأعرابي

(١) البيان والتبيين للجاحظ ج ٢ ص ٤ .

الذى اقراه رجل سورة براءة ولحن فى تعليم الآية الكريمة : ان الله برىء من المشركين ورسوله ، فاقراها له : « ان الله برىء من المشركين ورسوله بكسر اللام . فقال الأعرابى : ان يكن الله برينا من رسوله فاننا ابرأ منه ايضا .

وفى الوقت الذى انتشر فيه اللحن فى اللغة العربية فى المدن لاختلاط العرب بالأعاجم فيها بقيت لغة العرب سليمة تماما فى البادية والصحراء لعدم الاختلاط فيها . فاللغة الصحيحة كانت تؤخذ عن البدو بالمحاكاة والتلقين والاستماع .

وانتهز عرب البادية فرصة انتشار اللحن فى المدن الاسلامية فسافروا الى المدن وأخذوا يعلمون الناس اللغة العربية الفصيحة واتخذوا التعليم مهنة لهم .

وقد اكتفى بعض الناس التعلم من البدو فى المدن والقرى ولكن هناك آخرين لم يكتفوا بهذا التعلم بل هجروا المدن والعواصم والمدينة وذهبوا الى البادية وعاشوا فيها ليتعلموا لغة العرب فى منبعها الاصيل ويتجنبوا استماع لغة المولدين .

فبالبادية كانت تقوم بواجب تعليم النشء اللغة العربية الخالصة فى القرنين الاول والثانى من الهجرة .

وكانت صحراء سورية تتخذ مدرسة للأمراء من بنى أمية لتعليمهم اللغة الفصيحة الخالية من العجمة حتى يكسبوا ذوقا يتذوقون به فنون الشعر والأدب .

ولم يقصد الصحراء لدراسة اللغة العربية الفصحى الأمراء وحسب بل قصدها أيضا كثير من العلماء والأدباء والفقهاء ومنهم :

(١) الخليل بن أحمد (١) فقد سأل الكسائى مرة : من أين علمك هذا ؟ فأجاب : من بوادى الحجاز ونجد وتهامة .

(٢) وبشار بن برد (٢) فقد قيل له مرة : ليس لأحد من شعراء العرب شعر الا وقد قال فيه شيئا استنكرته العرب من ألفاظهم وشك فيه وانه ليس فى شعرك ما يشك فيه .

قال : ومن أين يأتينى الخطأ ؟ ولدت ههنا ونشأت فى حجور ثمانين شيخا من فصحاء بنى عقيل ما فيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ . وان دخلت

الى نسايتهم فنساؤهم أفصح منهم وأيفعت فأبديت الى أن أدركت فمن أين
يأتيني الخطأ ؟

(٣) والكسائي (٣) خرج الى البادية وتعلم فيها وأنقد خمس عشرة
قنية من الحبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظه .

(٤) والامام الشافعي (٤) قال في وصف حياته الاولى : « ثم اني
خرجت عن مكة فلزمت هذيل في البادية أتعلم كلامها وأخذ طبعها وكانت
أفصح العرب فبقيت فيهم سبع عشرة سنة أرحل برحيلهم وأنزل بنزولهم:
فلما رجعت الى مكة جعلت أنشد الاشعار وأذكر الآداب والاخبار وأيام
العرب » .

وكانت اللغة العربية الفصحى وحدها هي اللغة المستعملة في
البادية وكان بها حلقات علمية وأدبية يعقدها كثير من المثقفين والأفذاذ
من البدو ليرووا أجود الشعر ويقرءوا سيرة العرب وتاريخ وقائعهم
وحروبهم وحياة السابقين من ابطالهم .